قضايا بلاغية في القرآن الكريم

جدل المعرفة والفن في إعادة البناء وتطوير الخطاب

الدكتور أيمن فتحي الحجاوي – الجامعة الأردنية – عَمّـــان

مقدمة:

أي نص ديني هو شكل من أشكال الخطاب، ولهذا الخطاب أثر واضح في مسيرة أي شعب أو أمة انضوت تحت شعاره، إذ يُعتبر الدين أحد الأنساق الفرعية الأكثر إسهامًا في تشكيل النسق الكلي للمجتمع، ومن هنا يستمد الخطاب الديني سلطته الشرعية، ذلك أنه يجمع الأفراد والجماعات ضمن منظومة ذهنية، ففي كل حقبة تاريخية هناك بنية ذهنية تمثل منظومة فكرية عامة ينتقي منها العقل الفردي أفكارَه وتصوراتِه.

وإذا نظرنا إلى محتوى النص الديني، وجدنا مادته الأساسية هي: **المعرفة**، والذي يعنينا من المعرفة هنا ليس **المعلومة**، بل الأثر الاجتماعي لها، حيث تتجلى جدلية الارتباط بين مَسَارَي المعرفة الإنسانية والبنية الاجتماعية.

وإذا تسنى لنا التعامل مع القرآن بمنهجية تتجاوز حدود الخطاب الديني وسـلطة النص، والمقصود بالخطاب هنا ليس مجرد النص الممثل بالكلام أو الكتابة، وإنما هو المنطق الداخلي الشامل للإنتاج الذهني، "إنه خطاب مؤسسة أو فترة زمنية أو فـرع معـرفي" (فوكو،1984). فإن علينا إخضاع المعرفة التي يقدمها الدين للبحث العلمي باعتبارهـا جزءًا من الثقافة الإنسانية، بحيث ترقى النظرة إلى نمط الخطاب من مسـتوى الخضـوع والتسليم، إلى مستوى النقد المنهجي في إطار من الحداثة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علينا أن نتبنى خطابًا عن الدين، وإذا نحن تبنَّينا خطابًا عن الدين، فإننا نأخذ الخطوة الأولى نحو هجر الخطاب الديني نفسه.

يُعرّف **العِلم** بأنه: "الطريقة التي من خلالها يمكن وصف وتفسير لماذا وكيف تحدث الأشياء، ارتكازًا على أساسين هما: النظرية والتجربة" (Stark,2003). وإذا نظرنا إلى لغة القرآن فسنجدها ترتكز على إعطاء النظرية من خلال عرض القانون، ثم الدعوة إلى محاكمته، إنها لغة تعتمد أسلوب **الاستنباط**، وحيث أن العلم لا يعتمد أحد شِقَّيْهِ فقط، فعند هذا الحد تقف هذه الدراسة؛ إن التجربة تتمثل هنا بـ **استقراء** الاستنباطات الواردة في النصوص، ومن خلال ذلك الاستقراء يمكن استنتاج النظرية، ومن ثم محاكمتها بعرضها على التعريف العام لنظرية المعرفة.

مشكلة الدراسة:

يُعرَّف الخطاب Discourse بأنه: "مصطلح لساني، يتميز بشمله لكل إنتاج ذهني، سواء أكان نثرًا أو شعرًا، منطوقًا أو مكتوبًا، فرديًّا أو جماعيًّا، ذاتيًّا أو مؤسسيًّا، في حين أن المصطلحات الأخرى مثل: نص، كلام، كتابة،... تقتصر على جانب واحد" (فوكو،1984،أ). فالخطاب إذن هو ما نصارع به ونصارع من أجله؛ إنه السلطة التي نحاول الاستيلاء عليها. وسيبقى الأمر في إطاره المنطقي، إذا بقيت الفرصة متاحة أمام كل عقل يسمو باتجاه المعرفة. أما إذا تخلى الجَمْع عن هذه الفرصة إلى بعض الأفراد في المجتمع، فسينشأ ما يعرف بـ **المذهب**، الذي يتعارض كليًّا مع الخطاب؛ فالمذهب يطرح مسألة المنطوق انطلاقًا من الذوات التي تظن بنفسها الاكتمال، فتجلس على كرسي السلطة معطيةً نفسَها الحق الكامل في عملية التأويل، فتنفرد بسلطة الخطاب، ويكتفي المُتلقُّون منها بالالتفاف حولها مشكِّلين ما يعرف بـ **الانتماء المذهبي**، الذي يفترض الوجود المسبق للحقيقة، ثم ينبري للدفاع عنها وإثبات صدقها (حتى لو لم تكن كذلك).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن تناولنا للقرآن الكريم في هذه الدراسة ليس الهدف منه الإشارة إلى أي استكشاف علمي للإنسان أو إلى عقيدة لاهوتية بخصوص خلقه، وسقوطه وخلاصه، بل هو "محاولة إقامة كلية الموجود انطلاقًا من الإنسان وفي اتجاهه" (هيدجر،1995)، فالعلم ليس تطورًا ذهنيًّا خالصًا، بمقدار ما هو "مجموع متماسك للمعرفة في فترة تاريخية محددة" (فوكو،1984،ب)، ومن هنا لم تكن علاقة المعرفة بالسلطة علاقة عرضية، بل علاقة تكوينية، فالخطاب سواء كان ضمن (فلسفة الذات المؤسسة / أو التجربة الأصلية / أو التوسط الشمولي) فإنه ليس إلا شكل من (الكتابة / أو القراءة / أو التبادل) وإذا نظرنا إلى كل من (الكتابة، القراءة، والتبادل) فسنجد أنها لا تستخدم سوى العلامات والرموز، وهنا تصبح اللغة هي المحور المركزي الذي تدور وتتنازع حوله الأفكار.

لم يستطع أحد ـــ عبر التاريخ ـــ أن يجني فائدة من تغيير معنى كلمة، ولكن هناك، وفي كثير من الأحيان، مصلحة في تغيير معنى النص. وإذا نظرنا إلى أي لغة نجدها محفوظة، سواء لدى العامة من الناس، أو لدى العلماء منهم، ولكن العلماء فقط هم الذين يحتكرون تأويل النصوص، لذلك نراهم قادرين على تحريف معنى نص في كتاب ما بين أيديهم، بدرجة تتجاوز في كثير من الأحيان منطق اللغة وقواعدها التي ربما يُقرُّون هم أنفسُهم بها.

إن التخلي عن استخدام اللغة يعني الإقرار بالفشل، كما يعني التنازل عن سلطة الخطاب للاعتراف بخطاب السلطة. و "إذا كان ظهور الأنبياء في أيامنا هذه قد انقطع، فلنكتفِ بفحص الكتب المقدسة التي تركها الأنبياء السابقون" (سبينوزا،1994). وهذا لا يعني إلغاء ما هو قديم، بمقدار ما يعني إخضاعه مرة أخرى لجدل التأويل، الذي سيُضفي عليه الكثير من القِيَم، ربما أقلها سيكون فهمه في إطار التطور التاريخي للذهنية الإنسانية، لأن الطريقة التي يفكر ويكتب بها كل باحث ستفتح رؤية جديدة أمام البشرية، في إطار من الحرية التي تعني: "إفساح المجال أمام انكشاف الموجود من حيث هو كذلك" (هيدجر،1995،أ). إن إشكالية البحث لا تنحصر في الفصل بين ما ينتمي إلى العِلْمية والحقيقة وبين ما هو ليس كذلك في خطاب ما، بل هي التوسّع في تناول النصوص بهدف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معرفة كيف تنتج تاريخيًّا بعضُ تأثيرات الحقيقة داخل خطابات ليست لا صـــحيحة ولا خاطئة في حد ذاتها (فوكو،1994،ج).

أهمية الدراسة :

إن وظيفة المعلومات وظيفة اجتماعية جوهرية، ولعل من أهم ما يميز الثقافة أنها "**مُلزِمة**"(خمش،2004)، والإلزام هنا لا يعني الثبات على الجمود، بمقدار ما يعني "الثبات على الحقيقة الثابتة لأي مجتمع؛ ألا وهي: التغير الاجتماعي" (الدقس،1987).

إن هذا التغير على مستوى القرآن لم يكن يومًا ـــ وأغلب الظن أنه لن يكون ـــ من خلال استبداله، وإنما هو التغير في التأويل، الذي قاد إلى إنشاء وتطور الأفكـــار، وإن مسألة الإلزام هي المحرك والمحفز للسلوك، ومن هنا تـــُعدّ الزاوية التي يُنظر مـــن خلالهـــا للقرآن (الجانب البلاغي، السسيولوجي، أو الانثروبولوجي،...) على غاية من الأهمية في مجال توجيه الالتزام.

إن المتتبع للثقافة العربية المعاصرة، لن يفوته تلمُّس ما وصلت إليه من الانشطار على مستوى منهجية المعرفة، فهناك من يمثل التيار الأصولي الذي لا ينظر إلا بعين القدماء، يقابله تيار آخر وقع في ذات المتزلق (دراسة المجتمعات العربية بعين غربية)؛ فالأول يحاول إلصاق الواقع بالماضي، أما الثاني فيحاول دفعه باتجاه واقع وصل إليه الآخر عبر سلسلة من تطورات طبيعية، لم تتوافر لدينا. ومن هنا يأتي الوهم في مسألة **تبني المنهج العلمي**، حين يحاول أن يفرض القانون على الآخرين من الخارج، ليقول لهم أين هي حقيقتهم، وما هي الطريقة المثلى للعثور عليها.

لا بد من إخضاع الجوانب الرمزية في حياة الأمة لعملية التحليل، ومن الواضح أنه لا يوجد هنا أي مُطلق، بل تدرُّج لانهائي بين حالات المعرفة الأبسط أو الأرقـــى، إذ ليس من الضروري أن نحبس أنفسنا في تخيير عقيم؛ إما التبرير بإضفاء التخلـــف علـــى حضارتنا باسم تفوُّق الحضارة الغربية، أو رفض كل تفاعل باسم الحفاظ علـــى الهويـــة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاصة، فالاتصال كان ـــ وما يزال ـــ موجودًا، وبالإمكان الدفاع عنه بوصفه قيمة، وهو ما يمكن أن يسمح بالتصرف على نحو لا يكون **مستوى الحداثة** فيه مجرد أداة للتحليل، وإذا كنا نلجأ إلى استخلاص العبرة من التراث أو التاريخ، فإن ذلك لا يعني البتة إخضاعه للسلطة أو تجميد معناه.

" إننا ونحن نتحدث عن التاريخ، فإنما نتحدث ـــ في الوقت ذاته ـــ عن الحاضر" (غيرتز،1993)، هناك نزوع إلى الجينالوجيا[1]، في محاولة للتحرر مما هو معروض الآن في الأوساط الثقافية، فالتاريخية التي تحملنا وتتحكم فينا ليست تاريخية لغوية، إنها علاقة سلطة، لا علاقة معنى. لقد كان قبول الأقوال هو الأكثر إيحاءً بالنسبة لتاريخ الأيديولوجيات من إنتاجها، ولقد كان لذلك أثر بالغ في تحجيم دور اللغة كمدخل للمعرفة، لدرجة صرنا نشعر معها بالخوف والرهبة أمام أي نص في كتاب ديني، فهل يلزم للدفاع عن الدين والإيمان أن يبذل الناس جهدَهم من أجل الجهل بكل شيء، وأن يلغوا عقولهم نهائيا؟! "إن من يعتقد هذا الرأي يخاف من الكتاب أكثر مما يثق فيه" (سبينوزا،1994،أ)، فـ "كل لغة لا يمكننا أن نُبلِّغ بها صوتنا إلى الجمهور هي لغة عبودية، وليس يمكن لأي شعب أن يظل حُرًّا وأن يتكلم تلك اللغة في نفس الوقت" (روسو،1985).

لقد ظلت الحقيقة ـــ وأغلب الظن أنها ستبقى ـــ مرتبطة بأنساق السلطة، والمشكلة هنا لا تكمن في تغيير وعي الناس أو تعديل ما يوجد في أذهانهم، وإنما هي في محاولة تغيير النظام المؤسسي لإنتاج الحقيقة. إن الأمر لا يتعلق بتخليص الحقيقة من منظومة سلطة ـــ إذ أن ذلك وَهْم، لأن الحقيقة ذاتها سلطة ـــ بل بإبعاد سلطة الحقيقة عن أشكال الهيمنة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

[1] فرع من فروع علم التاريخ يهتم بتشكل المعارف العامة والخطابات وميادين الموضوع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن تاريخنا ـــ تماما كما هو حاضر الآخر ـــ يمكن أن يكون أمثولة بالنسبة لنـــا، لأنه يسمح بتأمل أنفسنا، واكتشاف التشابهات إلى جانب الاختلافات، وهكذا تتم معرفة الذات عبر معرفة الآخر، وعند هذه النقطة تتجلى أهمية هذه الدراسة: كيف يمكن للآخر أن يتعرف إلينا؟

إن السبيل الوحيد أمام الآخر للتعرف إلينا سيكون من خلال اطِّلاعِه على معرفتنا لِذاتِنا.

أهداف الدراسة :

إن نِسبيَّة ومن ثم عَرَضِيَّة سِمَة من سمات ثقافتنا، يعني زحزحتها إلى حـــدٍّ مـــا، والتاريخ الثقافي بمجمله ليس سوى سلسلة من مثل هذه الإزاحات، لذا؛ فإن الهدف العام لهذه الدراسة يدور في إطار السؤال التالي:

هل يتـــّسق النص القرآني ضمن منظومة مَواضِيعِيَّة، يمكن من خلالها صـــياغة نظريات فرعية، تتجمع لتشكل نظرية شاملة مُعبِّرة عن مسيرة الإنسان عـــبر تاريخـــه الاجتماعي؟

وضمن هذا الهدف العام تندرج بعض الأهداف الجزئية؛

كيف يتناول النص القرآني المواضيع التالية:

- ماهية **النص الديني** ودوره الوجودي والمعرفي، ومفهوم اللغة بمستوياتها المتعددة باعتبارها الوسيط الذي يتجلى من خلاله النص.
- **الخطاب**؛ من حيث التشكُّل والتقسيم، وأثر ذلك في توزيع الســـلطة وتطـــور أشكالها، وتداخلها في البناء والعلاقات في أُطُرها الداخلية والخارجية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **المعنى**؛ من حيث النشأة والتطور على المستويين؛ الوظيفي والبنائي، وأثر ذلك في تشكُّل بعض الخطابات الدينية وانحلال بعضها الآخر.

دراسات ذات علاقة:

كثيرة هي الدراسات التي تناولت بالبحث جوانب من القرآن الكريم، ولعل أكثر الدراسات قُربًا من الالتصاق بالعلم هي تلك التي تنتاب مؤلفَها نشوةٌ من الحماسة كونُه أثبت أن حقيقة علمية ما موجودة ومُثبتة في القرآن. إن هذا النمط من الدراسات لم يقتصر على أبناء المحيط الثقافي العربي، بل تعداه إلى غيرهم من أمثال **موريس بوكاي** (بوكاي،1977).

إن هذا النمط من الكتابات، إن كان يشير بالفضل إلى شيء، فإنما يشير إلى مَن بَحَث، لا إلى من ألصق بالقرآن نتائج بَحثِيَّة. لقد كان القرآن، عبر تاريخ تراثنا الـــديني، بمثابة المصدر الاستنباطي الذي حاول العلماء محاكاة بعض طروحاته ومحاكمتها قياسًا على اختبارهم للأحداث الطبيعية والاجتماعية (نذكر هنا على سبيل المثال لا الحصـــر: ابـــن خلدون[1]، ابن سينا[2]، ابن الهيثم[3]،...)، ولم يقتصر هذا الأمر على الدين الإسلامي وكتابه

[1] بناء المجتمعات ونموها وسقوطها تبعا للنظرية الدائرية في التغير الاجتماعي، والمستندة أصلاً إلى سنوات التيه الأربعين التي فرضت على بني إسرائيل، لتكون فترة كافية لفناء جيل وخروج جيل آخر، والأربعين سنة هذه هي الجزء من ثلاثة أجزاء تكوِّن الدورة الكاملة، لمزيد من الاطلاع، راجع: ابن خلدون، عبد الرحمن، (808هـــ)، المقدمة، بيروت، دار الجليل، ص ص 188ـــ189

[2] كان ابن سينا كثيرًا ما يلجأ إلى الحكم الشرعي في تعليل بعض القضايا الطبية، مثال على ذلك تفسيره للسبب وراء تجنب الاحتجام في الأيام الثلاثة البيض من كل شهر قمري، لما للقمر من قوة زائدة في جذب ما على سطح الأرض... لمزيد من الاطلاع، راجع: ابن سينا، الحسين بن عبد الله (428هـــ)، القانون في الطب، بيروت، مؤسسة المعارف، ص ص 35ـــ 36

[3] ابن الهيثم وقياس قوانين الضوء استرشادًا بما جاء في القرآن، لمزيد من الاطلاع، راجع: بدوي، فاطمة، علم اجتماع المعرفة، الدار البيضاء، منشورات جروس برس، 1986، ص 14

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(القرآن)؛ إذ كثيرًا ما لجأ رُوّاد الأنثروبولوجيا الأوائل الى الكتب المقدسة الأخرى (التوراه والإنجيل). ولعل من أوائل الدراسات التي استطاعت تجاوز الحدود التقليدية في تناول هذا الموضوع هي الدراسة التي قدمها **سبينوزا** في كتابه (**في اللاهوت والسياسة**)، والذي استطاع من خلاله مناقشة موضوع **المعجزة**، مبيِّنًا السبب وراء إطلاق الناس هذه التسمية على الحوادث التي يظنُّون أنها خارقة للطبيعة، بحيث لا تبدو قدرة الله أحق ما تكون بالإعجاب إلا إذا تصوروا قدرة الطبيعة وكأنها مقهورة على يديه، في حين أنه لا يحدث شيء في الطبيعة مناقض لقوانينها العامة التي وضعها الله نفسُه. ومن الإضافات المهمة التي قدمها سبينوزا؛ ذلك الاهتمام بـ **السَّرد** بشكله الأدبي، مفرِّقًا بالقيمة بين الرواية التاريخية والرواية الأدبية (البلاغية) للحدث، فلو روى كاتب سقوط دولة ما على طريقة المؤرخين السياسيِّين، لما حرَّك ساكنًا عند العامة، على حين أن الأثر يعظم عندما يصف ما حدث بأسلوب شاعري.

أما **ليفي شتراوس** فله دراستان مهمتان في هذا المجال:

ففي كتابه **الميثولوجيا والمعنى** (شتراوس،1983) حاول ربط **المفهوم الثنائي** ذي الدلالة الأسطورية في التفكير الإنساني بما له من انعكاسات على السلوك الاجتماعي، محاولاً من خلال ذلك تفسير بعض الدلالات ذات العلاقة (الأيام المقدسة {الأحد، السبت، الجمعة،...}، تشوهات الجسد {الشفاه الشرماء، الحدب، المسخ، الولادة المعكوسة Breech position (Betty,1988)،... }) ومن ثم الربط بين (اللغة ــ الميثولوجيا ــ الموسيقى) حيث تنبع الموسيقى والميثولوجيا من اللغة، لكنهما تنموان بصُوَر واتجاهات مختلفة. إن أي نص هو في المقام الأول عبارة عن لغة، وإذا تتبعنا أسلوب الخطاب في النص القرآني، وجدناه على درجة عالية من الموسيقى اللغوية من حيث العرض، وعلى درجة أعلى من حيث الحفز الذهني للانطلاق في دروب المعرفة الميثولوجية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد جاء النص القرآني زاخرًا بالقصص، بل إن بعض القصص تستحوذ على مجمل الآيات لسورة من السور المطوَّلة (كسورة يوسف مثلاً). والقصة، استنادًا إلى تحليلات بول ريكور (ريكور،1999)، تكشف عن جوانب شمولية في الوضع الإنساني، وإذا نحن تحدثنا عن الهوية الزمنية للقصة، فيجب أن نصفها بأنها شيء يبقى ويظل أمام ما يمر ويجري، فمتابعة سرد ما هي إعادة تحقيق فعل تصويري يُضفي عليه شكله، إضافة إلى إتاحة الفرصة أمام القارئ ليُعيد تأويله بطرق جديدة وفي سياقات تاريخية جديدة. إن العالم الواقعي يقع دائمًا خارج النص المقروء، فلا القاموس ولا النَّحْو يحتويان على الواقع؛ إن للنص معنىً مختلفًا تمامًا عن المعنى الذي يعرفه التحليل البنيوي فيما يستعيره من اللسانيات، فهو وساطة بين الإنسان والعالم، وبين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان ونفسه؛ الوساطة بين الإنسان والعالم هي ما ندعوه: **المرجعية**، والوساطة بين الناس هي ما ندعوه: **الاتصالية**، أما الوساطة بين الإنسان ونفسه فهي ما يدعى بـ **الفهم الذاتي**. هناك فرق إذن بين القصة والحياة الواقعية؛ فالقصة تُروى ولا تُعاش، أما الحياة فتُعاش ولا تُروى. ولعل من أهم ما قدمته الدراسات على اختلاف أنواعها وارتكازاتها النظرية، هي تلك المحاولات المتكررة للرجوع إلى **جذور الكلمات**، بحيث تغدو المعاني مرتبطة بـ **النظام الصوتي** أكثر من ارتباطها بـ **التواضع الدلالي**، ومن هنا يمكن الارتكاز بثقة على ما قدمه **ابن جني** في كتابه **الخصائص** (ابن جني،392هـ)، إضافة إلى ما أَصَّلَ له **الفراهيدي** في **كتاب العين** (الفراهيدي،175هـ) والذي كان الأكثر دقة في تناول الكلمات من خلال نظامها الصوتي، وإخضاع جذورها للمؤالفة والقَلْب.

واللغة، على حد تعبير **جان جاك روسو** (روسو،1985،أ)، هي أهم ما ميَّز الإنسان عن غيره من المخلوقات، وهي الوحيدة التي أثبتت أن للإنسان حاجات تفوق حاجاته الطبيعية، فلو لم تكن لنا قط غير حاجات طبيعية لأمكننا أن لا نتكلم أبدًا وأن نتفاهم بمجرد لغة الإشارة، فلا الجوع ولا العطش هما اللذان انتزعا من الناس أول التصويتات، بل الحب والكره والشفقة والغضب؛ إن الطعام لا يفلت من أيدينا، يمكننا أن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نتغذى من غير كلام. وإذا نظرنا إلى لغة الحيوانات وجدناها طبيعية غير مكتسبة، لذلك نرى الحيوانات لها نفس اللغات في كل مكان، فلا تستبد لها ولا تحقق فيها أدنى تقدم، أما لغة التواضح فهي لغة الإنسان وحده، وهذا ما يجعل الإنسان يحقق تقدمًا في الخير أو في الشر، وما يجعل الحيوانات لا تحقق منه شيئًا.

لقد كانت اللغة أداة للتواصل بين الأفراد المتقاربين، سواء بمكان الإقامة أو بالعُصَب والروابط الدموية، ولكنها في الوقت ذاته كانت السبب المباشر في الفُرقة والاختلاف بين أولئك الأفراد وغيرهم في تجمعات أخرى. من هنا، لا بد من أن ننظر حولنا عندما نريد أن ندرس الناس، لا بد أن نشيِّع بصرَنا إلى البعيد، من أجل ملاحظة الفروق أولاً حتى نكتشف الخصائص، فالحُكم الصائب على أفعال الناس يقتضي أن ننظر إلى هؤلاء في كل علاقاتهم، وهو ما لم نتعلم أبدًا أن نفعله؛ فنحن عندما نضع أنفسَنا موضع الآخرين، فإننا نضع أنفسنا بما طرأ علينا من التغير، لا بما يجب أن يطرأ عليهم. وهذا ـــ ربما ـــ هو الخطأ المركزي الذي وقعت فيه **المنهجية الغربية الحديثة**، وتبعتها في ذلك الأكاديميات التابعة لأنظمتها؛ فالمجتمعات الغربية صُنعت لكي تتغير، في حين أن المجتمعات المُسَمَّاة "**بدائية**" قد صنعت من قبل أعضائها لكي تدوم.

حاول **سيغموند فرويد** (فرويد،1983) أن يربط بين مراحل التفكير الإنساني وقدرته في السيطرة على ما يحيط به من ظواهر طبيعية، فبيَّن أن هناك ثلاثة أنماط من التفكير: **الأرواحي** (الميثولوجي) و**الديني** و**العلمي**؛ ففي الدور الأرواحي كان الإنسان ينسب لنفسه القدرة الكلية، وفي الدور الديني تنازل عن تلك القدرة للآلهة، أما في النظرة العلمية إلى الكون فلن يعود هناك أي مجال لقدرة الإنسان الكلية. لقد كان أول فهم للعالم توصل إليه الإنسان، وهو الأرواحية، فهمًا نفسانيًّا، لا حاجة للعلم من أجل تعليله، إذ أن العلم لا يبدأ قبل أن يدرك المرء أنه ما زال يجهل العالم. وإذا قارنا مراحل تطور العقائد البشرية بأطوار التطور اللِّبيدوي للفرد، سنجد أن المرحلة الأرواحية تطابق النرجسية،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمرحلة الدينية تطابق طور إيجاد الموضوع الذي يتسم بالتعلق بالأهل، أما المرحلة العلمية فتطابق حالة نضج الفرد، الذي تخلى عن مبدأ اللذة، وبدأ يبحث عن موضوعه في العالم الخارجي، متكيِّفًا مع الواقع.

ومن هنا جاءت النظرية الإسمانية لتمثل حاجة القبائل لأن تفرِّق بالأسماء فيما بينها، بحيث يغدو **طوطم** القبيلة هو الرمز الممثل والمميز لها عن غيرها (Lang,1905). أما النظرية السسيولوجية، فترتكز على أن الطوطم ما هو إلا تضخيم للغريزة الاجتماعية(Spencer,1891). وأما النظرية النفسانية فتستند إلى أن النفس جوهر داخلي يتفاعل مع محيطه الخارجي، بحيث يمثل دورًا مزدوجًا من حيث التأثر والتأثير (فريزر،1982).

ودراستنا هذه ستهتم بمسألة السلطة وانعكاساتها، خصوصا وأن "هناك تساؤلات جذرية لم تطرح على الذات بوصفها إسلامًا، وعلى الآخر بوصفه حداثة" (أدونيس،1990)، لأن الإسلام ـــ من وجهة النظر الأصولية ـــ دين تصدر عنه سلطة، تصدر عنها ثقافة، بينما الحداثة ثقافة تصدر عنها سلطة؛ فالثقافة في النظرة الأولى: وسيلة أو زينة، وهي في النظرة الثانية: أساس ورؤيا شاملة.

منهجية الدراسة :

في الحضارة الحديثة انتصر اللوغوس (العقل) على الميثوس (الأسطورة)؛ أو بالأحرى: بدلاً من الخطاب المتعدد الأشكال، فرض نوعان متجانسان نفسيهما: فالعلم وكل ما يمت إليه مستمد من الخطاب المنهجي، والأدب بتجسداته يمارس الخطاب السردي، وحيث أن شكل الخطاب الذي فرض نفسه في هذه الدراسة إنما ينجم عن الرغبة في تجاوز حدود الكتابة المنهجية، فهناك ميل إلى اتباع السرد الذي يسعى ـــ بدلاً من أن يفرض ـــ إلى العثور من جديد في داخل النص الواحد، على تكاملية الخطاب السردي والخطاب المنهجي. فاللغة، التي هي جزء من الثقافة، والتي يجب أن تُدرس على أساس أنها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ظاهرة إنسانية اقتضتها طبيعة الحياة الجمعية، هي في المحصلة نظام من العلاقات ذات الدلالات الاصطلاحية... والدراسة هذه تسعى الى تحديد موقع الفكر من الوجود، عن طريق دراسة العلاقات التي تربط ما بين الفكر والواقع في عملية المعرفة، في محاولة للوصول إلى **النسق النظري التعميمي** Generalized Theoretical System (زايتلن،1989) بحيث ترتبط المفاهيم العامة فيما بينها ارتباطًا يميل لأن يكون منطقيًّا كلما اقترب من **التكامل المنطقي** حيث تدخل المضامين الجزئية في مركب القضايا والتعميمات الكلية، ويمكن تفسيرها ببعض القضايا الأخرى في النسق نفسه.

مجتمع الدراسة :

يتكون مجتمع الدراسة من مُجمل الآيات الواردة في المصحف الشريف، والمجموعة في (114) سورة موثقة بالرسم العثماني، والمتفق على ترتيبها ابتداء من سورة **الفاتحة** وانتهاء بسورة **الناس**.

العينة:

العينة في هذه الدراسة **قصدية**، تختار ــ من خلال المسح ــ النصوص ذات العلاقة بأهداف الدراسة، والمقتصرة على البحث في المجالات الثلاثة:

- ماهية النص الديني ودوره الوجودي والمعرفي
- الخطاب
- المعنى

منهج الدراسة:

لجأنا في دراستنا هذه إلى **تحليل المضمون** Content Analysis بهدف الوصف الموضوعي لما توفر لدينا من محتوى كمي للإطار المعرفي قيد البحث، والذي تعتبر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفكرة وحدة التحليل فيه، إضافة الى **المنهج الاستقرائي** الذي يربط مجموع الاستنباطات بمضامينها الاجتماعية، وذلك من خلال ثلاثة محاور:

- ما الذي يُقال؟
- لماذا وكيف ولمن يُقال؟
- ما هي التصورات المطروحة المترتبة على ذلك؟

جمع البيانات وتحليلها:

1. جمع النصوص وتصنيفها من حيث المدى والمضمون، وذلك في ثلاثة مستويات:

- المستوى الدلالي للكلمة
- المستوى التركيبي للنص
- المستوى التراتبي المقارن لمجمل النصوص

2. تحليل الأفكار المعرفية عن طريق ربطها بالظروف الاجتماعية التاريخية، ومن ثم عرضها على التعريف لنظرية المعرفة.

ابراهيم والمعرفة

كان إبراهيم ابنًا لرجل يصنع الأصنام يُدعى آزر[1]، وكان قومه يتخذون من تلك الأصنام آلهة. إن صناعة الأصنام ليس فيها من تعظيم لمفهوم الإله، بمقدار ما فيها من تصغير له، وتقليل من هيبته، فعندما نصوِّر شرًّا أو خطرًا، وعندما نرمز لقلق ما، فمعنى ذلك أننا

[1] **كان آزر أباه، وليس شرطًا أن يكون والده. هناك فرق بين الأب والوالد، كما أن هناك فرقًا بين الأم والوالدة؛ فالوالد والوالدة هما صاحبا العلاقة الفسيولوجية بالولد، أما الأب والأم فيتعديان ذلك إلى المسألة التربوية، ونضرب على ذلك مثلا بـ الأم بالرضاعة، فهي أم وليست والدة.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سيطرنا عليه بفعل المعرفة [1]. ويبدو أن إبراهيم قد اعتزل قومه باحثًا عن الحقيقة (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ (76) فَلَمَّـا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّـالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّـي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79)) سورة الأنعام. لقد نظر إلى السماء بعد أن رأى ما على الأرض قريبًا مُتناوَلاً أو مصنوعًا بقوة غيره، فرأى كوكبًا فاستعظمه، ثم رأى القمـر فاستصـغر الكوكب، ثم رأى الشمس فاستصغر القمر. ولقد أذهلته الشمس، لولا أنه اكتشف أنهـا سائرة ضمن نظام ثابت، لا تحيد عن خط سيره بشروقها وغروبها وأحوالها، وهذا ما دعاه إلى التفكُّر لا في قوة النظام، بل في القوة الكامنة وراءه... لقـد اهتـدى إبـراهيم إلى الوحدانية عن طريق الجدل المعتمد على قانون النفي؛ لقد ظل ينفي الصفة عن المُشـاهَد، حتى توصل إلى الإثبات بعدم قدرته على النفي.

جدل الكلمات:

جاء إبراهيمُ ربَّه بقلب سليم (وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (83) إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (84)) سورة الصافات، ولقد اختلف الرواة في تأويل هذه الآية بسبب الاختلاف في معنى الكلمتين (رب، سليم)، هل الرب هنا هو الله أم المَلِك؟ وهل سليم تعني الشاكُّ أم النقـي من الشك والشرك؟

السليم في اللغة: هو من عضَّتْه الأفعى أو لدغته العقرب ولم يمت، فهو في حالة شك بين النجاة أو الهلاك، أما الرب فتعني القائم على من هم أقل قدرة منه بالرعاية والحفظ، فالله رب (الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2)) سورة الفاتحة، وعائل الأسرة هو ربها، والملـك رب

[1] " إن للتصغير أبعادًا نفسية مهمة، فالدُّمية التي يمكن أن يمسكها الطفل بيده، ويمكن اجتياحها بنظرة واحدة، ستصغـِّر الشيء المُجَسَّد في ذهنه " شتراوس، كلود ليفي، مقالات في الإناسة، ترجمة: حسن قبيسي، بيروت، دار التنوير، 1984، ص 44

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قومه؛ فالعزيز رب يوسف (إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ) سورة يوسف/ الآية 23، والرب الذي يُسقى الخمر هو المَلِك (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا) سورة يوسف / الآية 41...

لم يُلتفت في التراث التأويلي للقرآن عند الأخذ بهذه الآية إلى الكلمة التي يمكن أن تحل هذه المسألة، إنها كلمة (جاء)؛ ما المعنى الدقيق للفعل (جاء) وهل هناك فرق بينه وبين الفعل (أتى)؟

وردت كلمتا (أتى) و (جاء) مئات المرات في المصحف الشريف، وبعد استقراء جميع الآيات التي وردت فيها كل من الكلمتين، تبين أن الفرق بين جاء وأتى هو في المعرفة المُسبقة لدى المتلقّي بحقيقة ما يتلقى من أخبار؛

بعث أصحابُ الكهف أحدَهم بما لديهم من فِضَّة لشراء الطعام (فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ) سورة الكهف / الآية 19؛ قالوا: فليأتكم، لعلمهم بما هو موجود في سوق المدينة. فحين أقول لك: إذهب إلى المكتبة وائتني بكتاب، فأنا لديَّ معرفة بما ستحضره لي، أما إذا لم تكن لدي معرفة به، فعندها سأقول: إذهب وجئني بكتاب. وللإحاطة أكثر بالمعنى لننظر ماذا ورد في قصة مريم (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) سورة مريم / الآية 27، لقد كانت مريم تعرف قومَها، لذلك نراها قد **أتت**، أما قومُها فلم يكونوا يتوقعون أن تفعل مريم الفاحشة (مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) سورة مريم / الآية 28، لذلك نراهم قالوا: لقد **جئتِ**... وهذا ينسحب على كل الكلمات الواردة في المصحف تحت اللفظين: أتى وجاء.

بناء على ما تقدم، نستطيع الجزم بأن كلمة (رب) الواردة في الآية تعني الملك ولا تعني الله، لأن الإنسان لا يمكن أن يجيء الله بشيء لا يعرفه الله، أما إبراهيم فقد جاء الملك بما لا يعرفه ذلك الملك.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جدل إحياء الموتى:

أراد إبراهيم أن يعرف كيف يحيي الله الموتى، فأتاه الأمر: (فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[1] سورة البقرة / الآية 260، لقد صرَّ إبراهيم الطيرَ إليه، وذلك لا يعني من أي ناحية أنه قد قطَّعهن.

لقد ذهب ذهن التأويل إلى التقطيع، على اعتبار أن مسألة الإحياء لا بد أن تتم بعد الموت والقتل. (ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا)؛ الدعوة هنا ليس شرطًا أن تعني الإحياء من الموت. إذا بحثنا في الأمر الذي يجعل الطيور تأتي إذا دُعيت، سنجده لا يتعدى عملية استئناس الطير، وهي عملية ما زلنا نراها حتى في زمننا هذا، ووسط أحيائنا الشعبية. (وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) إن ما يحتاج الحكمة هو الاستئناس، أما مجرد القيام بالقتل أو الذبح فلا يحتاج إلى حكمة. لقد جعل على كل جبل منهن جزءًا، وهناك فرق بين كل من **الجزء** من ناحية، و **القِسم** و **البعض** من ناحية أخرى؛ القِسم والبعض يعنيان اقتطاع الشيء من مجموعه، ولكن البعض له صفة معنوية، أما القسم فصفته مادية؛ فاليد هي بعض من الجسم والجسم صحيح سليم، وهي قسم من الجسم إذا قُطِعَت منه. أما الجزء فلا يكون بفصل مكونات الجسم الواحد، بل يكون بعزل الواحد الكامل من مجموع؛ فالتفاحة الواحدة هي جزء من ثلاث تفاحات، وهي بعض منها إذا كانت مجموعة في سلة، أما القسم منها فهو نصفُها أو رُبعُها إذا قسِّمت. لقد جعل إبراهيم على كل جبل جزءًا من الطيور الأربعة (أي أنه جعل على كل جبل طيرًا كاملاً منها) بعد أن صرَّها إليه، والصَّرّ نوع من التقريب لدرجة الالتصاق، ومنه جاءت **الصُّرَّة** التي تضم الشيء داخلها'

[1] **نقرأ في التوراة: (فقال أبرام: يا سيدي الرب، كيف أعلم أني أرثها، فقال له: خذ لي عجلة عمرها ثلاث سنوات، وعنزة عمرها ثلاث سنوات، وكبشا عمره ثلاث سنوات، ويمامة وحمامة، فأخذ له هذه كلها وشطرها أنصافا، وجعل كل شطر مقابل الشطر الآخر , وأما الطائر فلم يشطره، وانقضت الطيور الكاسرة على الجثث، فأخذ أبرام يزجرها) سفر التكوين**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما أن الصَّرَّ يعني الرائحة أيضًا؛ "يُقال للقطعة من المسك: الصُّرار. قال تعالى: (فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) وإنما قيل له ذلك لأنه يجذب حاسةَ من يشمُّه إليه" (ابن جني،392هـ،أ) لقد عرَّف إبراهيم الطيرَ على رائحته، ثم دعاهن فأتينه سعيًا، ومن المهم هنا الالتفات إلى إيراد الفعل **أتى**؛ لقد أتينه إتيانًا، و لم يَجِئْنَهُ مجيئًا، وهذا يُدلِّل على معرفته وعلاقته السابقة بتلك الطيور، فلو أنه كان قَتَلَها وقطَّعها لَحُمِلَ الأمرُ على الفعل (جاء)، فالإتيان هنا متحقق بين كلا الطرفين؛ إبراهيم لديه معرفة مسبقة بتلك الطيور، وتلك الطيور لها معرفة مسبقة به بفضل عملية الصَّرّ.

عيسى بن مريم :

حملت مريم وانتبذت مكانًا قصيًّا، لقد أَبْعَدَت في المكان، وذلك يتطلب فترة من الزمن، مما يشير إلى أن الحمل بعيسى قد استغرق الفترة الطبيعية للحمل، ولو نقص عن ذلك لما استطاعت إنجابه في برية خالية إلا من الماء والنخل (فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ) سورة مريم / الآية 23، أجاء: أفعل، و " زيادة الهمزة على الفعل هنا تفيد التعدية " (الحملاوي،1962)، لقد جعلها المخاضُ تجيء، و لم يجعلها تأتي؛ والفرق بين (جاء) و (أتى) يدفعنا إلى التصريح بثقة أن مريم قد مرَّت وقتَها بالمخاض لأول مرةٍ في حياتها؛ فالبِكْر يجيئها المخاض، أما الفارض[1] فيأتيها. لقد حدثت الولادة فوق العُشب المُشْبَع بالماء تحت النخل (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) سورة مريم / الآية 24، السَّرْي مثل: السرج، السرح،... " يقول وهب بن منبه: السَّري: ربيع الماء " (ابن كثير،774هـ)، وهذا معنىً جميلٌ ودقيق؛ ماءٌ مغطّى بالعشب؛ مكانٌ مناسب للولادة فوقَه. (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25)) سورة مريم، لقد ذهبت التفسيرات بهذه الآية مذاهب شتَّى؛ فمن قائلٍ بالمعجزة، ومن قائلٍ بأهمية العمل (لا تستطيع المرأة أن تهز نخلة، ولكن لا بد من الأخذ بالأسباب)... إلى غير ذلك من الأقوال والتأويلات الكثيرة. ولكن

[1] **الفارض: ما سبق لها أن ولدت.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دقة كلام القرآن، ودقة الدلالة في اللغة العربية، تجعلنا نسلك طريقًا غير كل الطرق التي تحرف معنى الآية وتحرفنا بالتالي عن فهم مقصدها:

هل الجمل الأربع التالية متساوية من حيث المعنى:

- هُزِّي النخلة
- هزي جذعَ النخلة
- هزي بجذع النخلة
- هزي إليك بجذع النخلة

لا يستطيع إنسان هز نخلة، ولا تستطيع امرأة هز جذع نخلة، ولا تستطيع امرأة في المخاض الوصول إلى جذع نخلة، ولكن الذي حدث أن مريم هزت إليها بجذع نخلة؛ فجذع النخلة هو فرعها الذي يعلق فيه البلح، ومريم أمسكت بجذع النخلة: أي بجزء منه، لأن الباء تفيد التبعيض، ولقد كان ذلك الجذع مائلاً ومقتربًا من الأرض، بحيث إذا قعدت مريم أصبح أمامَها، وأصبح باستطاعتها أن تهزه إليها (أي: باتجاهها) ولا يَغِبْ عن ذهننا أن مريم قد ابتعدت كثيرًا حين أحسَّت بالحَمْل، واللجوء إلى أرض النخل بعيدًا عن الناس، يعني أن النخل سيكون في حالته البرِّية، فليس هنالك يدٌ تقلِّمُه وتقصف جذوعَه السفلى بحيث يصبح بالارتفاع الذي نراه عليه في المناطق التي ترعاها يدُ الإنسان، وهذا ما جعل العشب ينمو تحت الظلال الكثيفة ويصل إلى مرحلة السَّري. لقد استلقت مريم فوق العشب، وكان الماء في متناول اليد، وكان الجذع مائلاً وقريبًا بحيث يمكنها ــ وبحركة بسيطة ــ أن تُسْقِطَ عليها ما كان عليه من رُطَب[1]، ولقد كانت الرطب في المرحلة الجَنِيَّة،

[1] يُفيد علماء التغذية بأن الرُّطب هي الأكثر احتواءً على هرمون السينتيسينون، ويُفيد الأطباء بأن هذا الهرمون " يعمل على قبض عضلات الرحم، الأمر الذي يُساعد في تسهيل الولادة ومنع النزيف بعدها " / Willson J.Robert , Obstetric and Gynecology , 7th edition , London , Mosby company , 1983 , pp 137-145.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهي أضعف ما تكون التصاقًا بأمها النخلة. وولد عيسى في الوقت الذي تصل الرطب فيه إلى أقصى مراحل نضجها. ولو استعنا بخبرة العاملين في هذا المجال الزراعي، لاكتشفنا أنه قد ولد في أواخر الصيف، لا في أواخر كانون الأول ولا في بداية كانون الثاني.

لا ندري مقدار المدة التي قضتها مريم بعد تلك الولادة بعيدةً عن قومها، ولكن هناك في الآيات ما يشير إلى أنها كانت مدةً طويلة، كبُر خلالها عيسى بحيث أصبح يبدو صبيًّا لمن يراه (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29)) سورة مريم، لقد (أَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا) و لم تجئ، فقالوا: (لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) و لم يقولوا: لقد أتيت شيئًا فريًّا؛ لقد **أتت** لأنها تعرف قومَها، وقالوا: لقد **جئت**، لأنهم لم يعرفوا لا عنها ولا عن عائلتها ما يُوقِع في دائرة الشبهة. أما لماذا قالوا: (يَا أُخْتَ هَارُونَ)، فهذا ما سنبينه لاحقًا[1]، لأن هارون المذكور هنا هو هارون أخو موسى، ولو كان لمريم أخ لوهبته زوجةُ عمران للرب بدلاً منها. أما عن عمر عيسى حين أتت به مريم إلى قومها، فقد كان في عمر الصبي. وإذا قلت لي: لماذا أتت تحمله إذن؟ ولماذا قالوا: كيف نكلِّم من كان في المهد؟... فسنوجز الجواب بما يلي:

بعد تتبع الجذر **حـَ مـَ لَ** في المصحف الشريف، تبين أن له معنيين، فهو إمَّا أن يعني الحمل المادي للشيء خارج الجسم؛ (وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ) سورة يوسف / الآية 72، أو داخله؛ (وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا) سورة الحج / الآية 2، وإما أن يعني الحمل المعنوي؛ (وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) سورة طه / الآية 111 (فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا) سورة طه / الآية 100، وربما لم تكن مريم تحمل عيسى بين ذراعيها، بل تحمل إثم وجريرة من تجيء بطفل بدون زواج شرعي. أما المهد فتعبيرٌ عن الاستغراب من طلب توجيه السؤال لطفل لا يدري كيف ومن أين جاء (كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ

[1] راجع الفصل السادس / مبحث (موشيه؛ المنتشل).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صَبِيًّا)، ولقد جاء هذا الاستغراب بعد اكتفائها بالإشارة كإجابة على سؤالهم، ولقد استخدمت الإشارة كتوطيد للعُرف الرمزي الذي كان سائدًا ومتعارفًا عليه كطريقة للتواصل مع الأشخاص ذوي المكانة الدينية[1].

لقد كان مولد عيسى آيةً للناس؛ حَمْل بدون اتصال جنسي، إضافة إلى أنه كان يُكلِّم الناس في المهد وكهلاً (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً) سورة مريم / الآية 46

إذا كانت المعجزة ـــ كما يُقال ـــ تكمن في كلام الطفل في المهد، فما المعجزة إذن في كلامه وهو كهل؟!

يبدو أنه كان كهلاً وهو في المهد، وكلمة (كهل) هذه لم ترد في المصحف إلا كصفة للمسيح، على الرغم من وجود كلمات كثيرة تدل على الكِبَر والتقدم في العمر. الكهل مثل: الكهف، الكهن، الكهم[2]... ترتبط بمعنى العجز من جهة، وبالسِّر والباطن من جهة أخرى.

كشفت بحوث الاستنساخ حقائق يمكن الاستعانة بها في هذا المجال؛ فلقد أدهش العلماء موت **النعجة دوللي**[3] بعد استنساخها بفترة أقصر مما ينبغي للنعجة أن تعيش، ولقد أثبتت البحوث المخبرية أنها عانت من شيخوخة مبكرة؛ لقد ولدت ولها من العمر ما يساوي عمر أمها تمامًا.

انتسب عيسى إلى أمه، وفي هذا إظهار لهذا الانتساب لأول مرة في تسلسل السرد القرآني، وإذا قلت لي: فلمن سينتسب إذن إذا كان لا يوجد غيرها؟ فعندها ستوقعني في

---

[1] ونرى في قصة (زكريا) كيف أصبحت لغة الإشارة تحمل بُعدًا رمزيًّا، له دلالته الدينية الخاصة في عملية التواصل.

[2] الكهم من السيوف: الذي لا يقطع؛ يقول المتنبي: عجبت لمن له قد وحد وينبو نبوة القضم الكهام / المتنبي، أبو الطيب (354هـ)، ديوان المتنبي، بيروت، المكتبة الثقافية، ص 483.

[3] لمزيد من الاطلاع، راجع: بدوي، خليل، الاستنساخ، عمان، المكتبة الوطنية، 2000، ص ص 56–57.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحيرة؛ معك حق، لا يوجد غير أمه... ولكنني أورد ذلك لأن ما يشيع في الأدبيات الأنثروبولوجية لا يتفق مع ما ورد في المصحف الشريف، فالأسرة **أبويَّة** الانتساب من آدم إلى محمد. ولست هنا في صدد تغليب رأي على آخر (وإن كنت سأميل ــ بطبيعة الحال ــ إلى رأي المصحف، لأنه مادتي البحثية) ولكني لم أجد في كل تلك الأدبيات ما يمكن أن نعدُّه إثباتًا علميًّا، يتجاوز إطار الآراء والتصورات في تناوله لهذه الإشكالية.

كان عيسى آخر رسول إلى بني إسرائيل، و لم يتجاوز ما جاء به موسى إلا في بعض التغييرات الطفيفة (وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) سورة آل عمران / الآية 50، بالإضافة إلى بعض الميزات التي شملت:

- الخلق من الطين كهيئة الطير
- إبراء الأَكْمَه والأبرص
- إحياء الموتى

(قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ) سورة آل عمران / الآية 49

كان النفخ في الطين وفي هيئة الطين (أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ) سورة آل عمران / الآية 49 (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا) سورة المائدة / الآية 110، وإذا تتبعنا دلالات النفخ الواردة في المصحف لا نجد أيًّا منها مرتبط بالنَّفَس الخارج من الفم؛ فهناك نفخُ اللهِ للروح في آدم (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي) سورة ص / الآية 72، ونفخُه في فرج مريم مرةً (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا) سورة التحريم / الآية 12، وفيها مرةً أخرى (وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا) سورة الأنبياء / الآية 91، وهناك النفخ في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصُّوْر (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ) سورة المؤمنون / الآية 101، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الله ليس له فم ولا نَفَس[1]، لأنه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) سورة الشورى / الآية 11، وهناك نفخ ورد في قصة ذي القرنين؛ وهو النفخ المتعلق بإذابة النحاس بين قطع الحديد لتثبيتها ببعضها (حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا) سورة الكهف / الآية 96، وإذا نظرنا إلى الميزة التي يتمتع بها النحاس، وجدنا أنه أطوع للتشكُّل وتقبُّل النموذج المراد إخراجه. لقد استخدم سليمانُ النحاس من قبل، ولكنه لم يكن بالتقنية التي قَدِرَ عليها عيسى ابن مريم؛ كان عيسى يصنع من الطين هيئاتٍ وأشكالاً مختلفة، ثم ينفخ فيها النحاس المُذاب فتخرج مطابقة لها تمامًا، ولعل التطور الذي حدث في عهد عيسى عن عهد سليمان، أن تشكيل النحاس كان داخليًّا وليس خارجيًّا. لقد برع عمال سليمان في الصناعات المتصلة بتشكيل المعادن بالنار (النحاس، الزجاج،...)، وربما وصل الأمر في عهد عيسى إلى ما هو أكثر إتقانًا ودقة في هذا المجال.

كان المسيح يُبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله (وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ) سورة آل عمران / الآية 49، الكَمَه مثل الكَمَم: وهو عدم القدرة على الكلام نتيجة الصَّمم، فالأكمه هو الأبكم الأصم، أما البرص فهو المرض الجلدي المعروف بـ **البُهاق**. وإذا أردنا تفسير ظهور هذه الأمراض (بالذات الكمه) في بني إسرائيل، فيمكن عزوه إلى الأمراض ذات الطابع الوراثي الناتج عن الزواج الداخلي، فبنو إسرائيل تحت حكم الفرعون كانوا مضطرين للانغلاق على أنفسهم في مجتمع يُنظر إليهم فيه على أنهم فئة دنيا، ولقد عادوا إلى التقسيم العشائري المرتبط بـ **السِّبْط** في عهد موسى، بل لقد طلبت كل فئة منهم أن يكون لها مشربها الخاص الذي لا يشاركها فيه الآخرون، وأناس هذا هو ظاهرُهم لا بد أن في داخلهم ما هو أكبر وأكثر انغلاقًا. ونقرأ في كتب الطب أن هناك من المتلازمات المرضية Syndroms ما يُنسب

[1] **تنشأ الإشكالية هنا جراء الخلط بين مفهومي الروح والنفس، على اعتبار أن الروح هي مادة الحياة. هناك فرق بين الروح والنفس، ويشير القرآن إلى أن آدم حيًّا قبل أن تـُنفخ فيه الروح.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحديدًا إلى الشعب اليهودي، لأنه ظهر فيهم (مثل متلازمة الشكناز aShaknazy Syndrom[1]).

جاء عيسى ليبرئ هؤلاء، والبُرْء يعني الإبراء والتبرئة، ولا يعني الشفاء من هذه الأمراض. فمِن ماذا برَّأ عيسى الأكمه والأبرص؟

إذا تابعنا الشريعة من أولها؛ من أيام موسى، نجد الكثير من النصوص يشير إلى الأبرص على أنه مصاب باللعنة Sin؛ نقرأ في سفر اللاويين: (إذا أصابت أحدًا بلوى برص فأُحضر إلى الكاهن ففحصه، يحكم بنجاسته... الأبرص الذي به البلوى يلبس ثيابَه مشقوقة، ويكشف رأسَه، ويغطي شاربيه ويُنادَى: نجس... نجس، ما دامت به البلوى يكون نجسًا، ويسكن منفردًا) الكتاب المقدس، فالمرض إذن لا يرتبط بالسبب العضوي بمقدار ارتباطه بالغضب الإلهي[2]، لذلك نرى أن مهمة المُعالجة تُوكَل إلى الكاهن، الذي ربما يحبس هذا المريض في ظروف قاسية قد تؤدي إلى هلاكه، لأنه سيخضع لنظام **اللامساس**.

كانت رسالة عيسى تهدف إلى اعتبار ذوي العاهات الخَلْقية أُناسًا عاديين، وأن مرضهم غير مرتبط بلعنة أصابتهم أو أصابت عائلاتهم نتيجة ذنب اقترفوه، وفي هذا إشارة عظيمة، قد تدفع بالإنسانية نحو البحث عن السبب العضوي للمرض دون الاكتفاء بإلصاق اللعنة فيمن أصيبوا به. إن نظام اللامساس الذي انتشر أيام موسى، حدث عليه تغيير في شريعة عيسى، وهذه هي المعجزة التي تعتبر فتحًا على المستوى العلمي النظري

---

[1] للاطلاع، راجع: **McKee,I .Heriditary diseases,London:Royal Society of Medicin,Macmillan Press.1982.p184**

[2] **تعتبر التشوهات الخلقية في نظر الكثير من الشعوب والثقافات (الشفاه الشرماء، الولادة المقلوبة Preach، الحَدَب، العَوَر،...) بمثابة لعنة إلهية، لمزيد من الاطلاع، راجع: شتراوس، كلود ليفي ، الأسطورة والمعنى، ترجمة: حسن قبيسي، بيروت، دار التنوير، 1983، ص 25.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المستند إلى البحث، ولا أظن أن عيسى كان له القدرة على الشفاء؛ لقد ورد الجذر **شـَـفـَـ يَ** في مواقع كثيرة في القرآن، ولكنه لم يتصل، ولو لمرة واحدة، بعيسى عليه السلام، وإذا قلت لي: فكيف كان يحيي الموتى؟ فأقول: إن الإحياء يكمن في إخراج الإنسان من العزلة والنَّبْذ، كما أن في الامتناع عن رجم الزاني ـــ حتى الموت ـــ حياة أيضًـــا، لقـــد جعلت هذه الشريعة المصير الإنساني قادرًا على الانفلات من سلطة الرهبان والكهنة، ولقد حدث ذلك كله بـــ **إذن الله**، والإذن لا يعني هنا تجسُّد لقدرة الله في البشر، بل الإذن هو طلب السماح بالقيام بالأمر، فعيسى لم يأت بشريعة تُلغي بعض ما ورد في شريعة سابقة إلا بإذنٍ من ربِّ رُسُل الشريعتين.

صبر أيـــوُّب :

تعتبر قصة أيوب المثال الأكثر شُهرةً في إبراز مفهوم الصبر وما يتصل بـــه مـــن دلالات في الأوساط الاجتماعية، وتستخدم الثقافة العربية عبارة (صبر أيوب) للإشارة إلى المواقف التي تتطلب مقدارًا كبيرًا من الصبر والتحمُّل، ويُورِد القرآن الأحداث المتعلقـــة بصبر هذا الرجل في موقعين منفصلين؛ فنقرأ في سورة الأنبياء: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (84)﴾ أما في سورة ص فنقرأ: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (41) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (42) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ (43) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْـــدُ إِنَّـــهُ أَوَّابٌ (44)﴾.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أُصيب أيوب بالضُّرّ، الذي هو: النُّصْب والعذاب؛ لقد أصيب بمرض أقعده وتسبب في هجر أهله له[1]. ولكن قصة أيوب تبدو في السرد القرآني على خلاف الموعظة والعبرة التي تأخذها الأوساط الاجتماعية منها؛ فـ **صبر أيوب** الذي يأتي الفَرَجُ بعدَه، يُتداول ذهنيًّا على أساس أن الحل في النهاية سيكون **إلهيا قَدَرِيًّا**، بينما تكشف الآيات عن **طبيعة مادية** كانت السبب المباشر في تراجع المرض أمام العلاج؛

لقد طُلِبَ إليه أن يقوم بـ:

- الركض بالرِّجل
- الشُّرب والاغتسال مما وبما هو بارد
- الضرب بالضغث دون حنث

الضغث مثل: الضغن، الضغط،... وفي التفسير: " الضغث: الشمراخ " (ابن كثير،774هـ،ب)، وعند الحديثين من علماء التجميل " هو نبات **القُرِّيص** الذي يعيد شباب البشرة "، وربما لإبَرِهِ فعل المُهَيِّج للمقاومة الداخلية للجسم " إثارة المناعة الطبيعية Toxoid لا المكتسبة Toxin " (Katzung,2001)، والضرب نوع من الإسدال بما يكون شاملا

[1] لقد هجرته زوجه، ولكن لدى ابن كثير كلام آخر: "... وذلك أن أيوب عليه الصلاة والسلام كان قد غضب على زوجته ووجد عليها في أمرٍ فعلته؛ قيل باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه فلامها على ذلك وحلف إن شفاه الله تعالى ليضربنها مائة جلدة... فلما شفاه الله عز وجل وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تُقابَل بالضرب، فأفتاه الله عز وجل أن يأخذ ضغثا وهو الشمراخ فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة، وقد برت يمينه وخرج من حنثه ووفى بنذره " ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص 53. وهذا مخالف، ليس فقط لظاهر الآيات، بل لتراكيب المعاني المتعلقة بالحنث والضرب بالضغث، كما سيتبين لنا عند تناولنا لتلك المعاني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للمنطقة[1]، أما الحَنْث فمثل: الحنف، الحنك، الحنن، الحنق، الحنو... أي: إضرب به دون حنان أو حنو أو حنف عن المواضع المؤلمة، ولا تحنق لأنه سيحنقك إن لم تفعل.

إن تلك المعاني أقرب لنبات القُرِّيص الشائك المؤلم منه إلى قصة ابن كثير العائدة على الزوجة، لقد قام أيوب بـــ:

- تحريك عضلاته الراكدة
- الإكثار من شرب السوائل
- تكرار الاغتسال والمحافظة على البرودة
- تدليك مناطق الإصابة ـــ رغم الألم ـــ بنبات القريص

وهذه هي الشروط الموضوعية للشفاء من المرض الجلدي، حيث تُزال الخلايا الميتة وشبه الميتة، وتنشط الدورة الدموية في المنطقة المصابة، ويتهيأ الجسم ـــ عن طريق تزويده بالسوائل وترييض أعضائه بالحركة ـــ للمقاومة وإثارة المناعة الداخلية.

سفينة نوح :

لعل أهم ما يميز قصة نوح في التاريخ البشري، هو ذلك الحدث المرتبط بالسفينة، لقد صنع نوح سفينة، استطاع من خلالها أن ينجو هو ومن معه من الطوفان، فماذا كانت تلك السفينة؟ كيف صُنِعَت؟ ما الذي حَمَل فيها؟ وما الآثار المترتبة على ذلـــك الصـــنع وتلك الحادثة؟

لقد كانت سفينة نوح **فُلْكًا**، والفلك كالفلق: شِقَّان متناظِران، والفلـــك مـــن الدائرة؛ لقد كانت دائرية أو شبه دائرية، وكانت **مشحونة** (فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ

[1] **قال تعالى: (وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ) أي: يسيرون، وقال أيضا: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) أي: يسدلن الخمار بما يشمل الجيوب.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْمَشْحُونِ (119)) سورة الشعراء، والفلك المشحون: السائر ضمن التيار، أي أنها **لم تكن ماخِرة**، لأن المَخْر مثل: المخض، المخط،... وهو ما يجعل على وجه الماء ما يُشبه الزَّبَد نتيجة الدفع الذاتي للجسم، بمعنى أنها لم تكن تسير عن طريق التجذيف، بل **جارية** مع التيار المائي (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (11)) سورة الحاقة، و**لم تكن مُزجاة**، إذ المُزْجَى من السفن هو ما يسير بحسب حركة الرياح، وذلك يتطلب وجود أشرعة، وسميت **سفينة** لأنها تسفن الماء عند الجريان: أي تشقُّه.

صنع نوح الفلك، والصنع مثل: الصنف، الصنم، والصنو،... وحيث أن الصنم لا يكون إلا محاكيًا لما هو موجود مقارنة بالصنف والصنو، فلا بد إذن أن نوحًا قد صنع الفلك على هذا الأساس، لا بد أنه رأى في الطبيعة جسمًا عائمًا على الماء، فحاكاهُ صناعةً بعد أن كبَّره وأحكم دورَه من خلال معرفته بخصائص مكوناته.

كانت الفلك[1] مصنوعة من **الألواح** و**الدُّسُر** (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (13)) سورة القمر، والألواح هي الأخشاب ــ لا بد أنها كانت هنا جذوع الأشجار ــ أما الدسر فهي: أغصان طرية فيها ألياف طبيعية، وسفينة بسيطة كهذه لا تتسع لعدد كبير من المحمولين (احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ) سورة هود / الآية 40، لقد حمل فيها بعض الناس، إضافة إلى ما استُؤنس من الحيوان. وإذا أردنا أن نعطي تفسيرًا عن السبب الذي دفع نوح إلى أن يحمل في السفينة تلك الأزواج من الحيوانات، فلأن أولئك الأقوام لم يكونوا على خبرة في التنقل، الأمر الذي يظنون معه أن كل الأرض ما هي إلا منطقتهم تلك. وإن دل ذلك

[1] " تأتي كلمة الفلك في القرآن بمعنى المفرد وبمعنى الجمع؛ ففي الآية: (في الفلك المشحون) سورة الشعراء / الآية 120؛ تدل على الواحد، أما في الآية: (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم) سورة يونس /الآية 22؛ فتدل على الجمع " ابن جني، أبو الفتح (392هـ، 1002م)، الخصائص، ج2، بيروت، د ار الجليل، ص 39.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على شيء، فإنما يدل على أن أقوام النوح كانوا يشكِّلون مجتمعًا حقيقيًّا، إذ " ليس من الضروري لمفهوم المجتمع من الناحية الواقعية أن يكون معتمدًا في حياته ومرتبطًا فيها بمجتمعات أخرى، لكن ما هو ضروري فقط أن تتوافر لديه الأساسيات البنائية والوظيفية لنسق متواجد بشكل مستقل ".(Parsons, 1951)

كان موعد الطوفان مترافقًا بمظاهر طبيعية كَفَوَران **البركان** (حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا...) سورة هود / الآية 40، فإذا فار التنور فإن الأرض ستنبئ بكارثة طبيعية، لذلك حمل نوح من كلٍّ زوجين اثنين، ولا بد هنا من التركيز على مسألة (**كلٍّ**) وليس (**كلِّ**)؛ إذ ليس باستطاعة سفينة بدائية ذات ألواح ودسر أن تحمل كل المخلوقات، كما أن الغرق لم يحدث لكل الكرة الأرضية[1]، بل لمنطقة بعينها (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ) سورة هود / الآية 44، الغيض هو: النقص، أي أن منسوب المياه قد نقص، والإقلاع هو:

[1] ورد في سفر التكوين (ولما كان نوح ابن خمس مئة سنة وَلَدَ سامًا وحامًا ويافث ورأى الرب أن مساوئ الناس كثرت على الأرض، وأنهم يتصورون الشَّرَّ في قلوبهم ويتهيأون له نهارًا وليلاً، فندم الرب أنه صنع الإنسان على الأرض وتأسف في قلبه، فقال الرب: أمحو الإنسان الذي خلقت عن وجه الأرض، هو والبهائم والدواب وطيور السماء، لأني ندمت أني صنعتهم... ولكني يا نوح أقيم عهدي معك، فتدخل السفينة أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك، واثنان من كل نوع من الخلائق الحية لتنجو بحياتها معك، ذكرًا وأنثى تكون: من الطيور بأصنافها، ومن البهائم بأصنافها، ومن جميع دواب الأرض بأصنافها... وخذ معك من جميع البهائم الطاهرة سبعةً سبعة، ذكورًا وإناثًا، ومن البهائم غير الطاهرة اثنين، ذكرًا وأنثى، ومن طيورالسماء سبعة سبعة، ذكورًا وإناثًا، ليحيا النسل على وجه الأرض كلها، فبعد سبعة أيام أمطر على الأرض أربعين يومًا وأربعين ليلة، فأمحو كل كائن صنعته عن وجه الأرض... وكان بعد أربعين يومًا أن فتح نوح النافذة التي صنعها في السفينة وأرسل الغراب، فخرج الغراب وأخذ يروح ويجيء إلى أن جفَّت المياه عن الأرض... وعاد فأرسل الحمامة من السفينة، فرجعت الحمامة إليه في المساء تحمل في فمها ورقة زيتون خضراء، فعلم نوح أن المياه قلَّت على الأرض، وانتظر أيضا سبعة أيام أخر وأرسل الحمامة، فلم ترجع إليه هذه المرة) الكتاب المقدس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإزاحة من المكان، ومنه جاءت القلوع: وهي المراكب الشراعية، لأنها تتحرك في البحر بفعل الريح كما تتحرك الغيوم في السماء. إذن؛ لا بد من فراغ أقلعت له تلك السماء التي هي الغيوم وقتها، ومخاطبة الأرض بالنكرة المقصودة (يَا أَرْضُ) فيه دلالة على ذلك أيضًا، لقد كانت قطعة معينة من الأرض، ولم تكن كل الكرة الأرضية[1].

لقد حُمِل الناس وسَلَكَت الحيوانات (حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ) سورة هود / الآية 40 (فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ) سورة المؤمنون / الآية 27، فما الفرق بين **الحَمْل والسَّلْك؟**

يبدو أن الحيوانات الحمل معروف، أما السلك فهو السير بناء على الطبيعة الفطرية، فالماء النازل من السماء يُسْلَكُ ينابيع في الأرض (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ) سورة الزمر / الآية 21، والنحل يَسْلُكُ في طيرانه (فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً) سورة النحل / الآية 69، وسِلك (السُّبْحة) سُمِّي سِلْكًا لأن الخَرَزات تنتظم منسابة فيه حسب خط سيره واتجاهه، قال تعالى: (ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32)) سورة الحاقة.

تسلك في الفلك سَلْكًا كما تسلك النحل السُّبُل، وكما يسلك الماء في الأرض، لأن للحيوانات قدرةً فطريَّة تمكِّنُها من الاستشعار المُسْبَق بكوارث الطبيعة (كالزلازل والبراكين) فإذا سلكت في السفينة الحيواناتُ فليُحمل الناس، على الرغم أنها محمولة بمعيَّة

[1] **حتى الملاحم القديمة، لا تقر بغرق كل الأرض جراء الطوفان؛ نقرأ في ملحمة جلجامش: " وفي يوم من الأيام رأى جلجامش أن الماء قد ارتفع حتى وصل إلى ركبتيه، وحين سأل عن السبب قيل له: إن الآلهة قد غضبت على البشر فأرسلت الطوفان " جلجامش (2325– 2269 ق.م)، ملحمة جلجامش، ترجمة: سامي الأحمد، بيروت، دار الجليل، ص ص 516–517.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الناس، لأن الحيوان سيتفوق على الإنسان في القدرة على الاستشعار، على الرغم من تفوق الإنسان على الحيوان في المنـــزلة[1].

بعد أن أقلعت السماء وغاض الماء رست الفلك على **الجُودِيّ**، وهنا يمكن لأبناء الآثار أن يحددوا الموقع الجغرافي لنوح وقومه، من خلال تحديد موقع الجودي والرجوع إلى الرموز المقدسة المذكورة (ود، سواع، يغوث، يعوق، نسر).

لقد استطاع أتباع نوح الاستواء على الماء، وهذا تقدم معرفي في السيطرة علـــى مظهر من مظاهر الطبيعة؛ أراد الولد أن يأوي إلى جبل (قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء) سورة هود / الآية 43، أما الأب فقد صنع سفينة (قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ). أنظر كيف استطاع التفوق المعرفي أن يفوق الشكل الطبيعي المعتمد على الصدفة المحسوسة والخبرة المرئية (وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (43)) ســـورة هود؛ لقد سلك الولد سلوك الحيوان فغرق، واستفاد الأب من خبرة الحيوان بأن وجَّـــه عملية السَّلْك فنَجا هو ومن معه.

من المُلفت للنظر ذلك التحلُّل الأسري الذي كان سائدًا، فالابن ضـــد أبيـــه، والزوجة خائنة (ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا) سورة الحريم / الآية 10، تُرى ما الذي يجعل الابن أكثر ارتباطًا بمجتمعه منه بأبيه؟ وما البديل الذي كان متوفرًا آنذاك ليعوِّض عن العائلة؟

يبدو أن الروابط الأوسع في المجتمع كانت أقوى من تلك الموجـــودة في إطـــار الأسرة العائلية، وهذا هو شأن **المجتمعات الطوطمية** فـــ " الروابط الطوطمية أقوى مـــن الروابط الأسروية في مفهومنا المعاصر؛ وهي لا تتطابق معها، ذلك لأن انتقال الطـــوطم

[1] **لا بد من الاختلاف هنا على إعراب الواو في (وأهلك)؛ فالواو في جملة اعمل تعرب واو المعية، وتكون (أهل) مفعولاً معه، أما في جملة اسلك فتعرب واو العطف وتكون (أهل) اسمًا معطوفـــًا.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يجري عادة من خلال التوريث الأمومي، وربما لم يكن بالأصل للتوريث الأبوي أي اعتبار على الإطلاق " (فرويد،1983،أ).

السَّاميـــّة :

أين تقع مسألة **السامية** في إطار قصة نوح ؟

بنو إسرائيل، المذكورون في القرآن، هم ذرِّية من **حُمِلوا مع نوح**، وليسوا مـــن **ذرية نوح** (وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً (2) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (3)) سورة الإسراء، يذكر القرآن أن هناك ابنًا لنوح، وقد غرق مع من غرق، أما مسألة **سام** و **حام** فليس لها ولو مجرد إشارة في السرد القرآني، وحتى لو فرضنا جدلاً أن هناك ابنين لنوح هما: سام و حـــام، فبنـــو إسرائيل ليسوا من ذريتهم، إنهم من ذرية الذين حُمِلوا مع نوح، وليسوا من ذرية نوح. إن مسألة **السامية** المرتبطة بأولاد نوح ـــ حسب السرد القرآني ـــ ما هي إلا ضـــرب مـــن الخرافة.

جدل الشكر و الكفر :

كان نوح عبدًا شكورًا ... ما معنى **الشكر**؟

للوقوف على هذا المعنى، لا بد من المقابلة بين كل من الكلمات (الشكر والذِّكر) / (الشكر والكفر)؛

يقول تعالى في سورة الفرقان: (وَهُوَالَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (62)) فالليل للتذكر، أما النهار فللشكر، ومن المعروف أن الليـــل للراحة والسكون والنهار للعمل والكَدْح، فما معنى الشكر إذن؟ كيف يمكن أن تشكر الله على تفاحة أكلتَها؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذا اكتفيتَ بقول: الحمد لله، فإن ذلك شكل من أشكال الذِّكر، أما إذا أردت أن تشكر، فعليك أن تقوم بعمل يدل على ذلك، عليك أن تزرع تفاحة، تسقي شجرة التفاح، تقلِّمُها،... إلخ.

لقد كان نوح شكورًا (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) سورة الإسراء / الآية 3، لأنه بنى سفينة، وبناء السفينة يحتاج إلى الكثير من الجهد من تجميع للألواح، وتنظيم للأغصان وربطها بالدسر. ويُورد السرد القرآني أمثلة مشابهة لنوح في مسألة الشكر؛ فـ **آل داوود** كانوا شاكرين، لأنهم كانوا يعملون على تشكيل الحديد والنحاس (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13)) سورة سبأ، هذا إضافة إلى الأعمال المتصلة بالبناء في البَرّ واستخراج الحِلْية بالغوص من البحر (كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ) سورة ص / الآية 37، كما أن قِلَّة الشكر في بعض الأقوام قد أَدَّت بهم إلى الهلاك، كما حدث في قصة **سَبَأ** بانهدام السَّدِّ عليهم (وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) سورة سبأ / الآية 19. والكفر ــ في القرآن ــ ضد الشكر، فالأقوام العاملة هي الأقوام الشاكرة، أما تلك المُستهلِكة فقط فمصيرها إلى الهلاك (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (28)) سورة إبراهيم، لأن النِّعَم لا تدوم أو تزيد إلا بالشكر (لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ) سورة إبراهيم / الآية 7. لقد أورد القرآن حقيقة ــ ربما كانت عامة ــ عبر مسيرة طويلة من حياة البشرية (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) سورة سبأ / الآية 13، ولكننا ننظر الآن إلى المجتمعات والشعوب ــ خصوصًا بعد دخول العصر الصناعي ــ فنرى دقة الوصف فيما يتعلق بمفهوم الشكر؛ فالشعوب الأكثر دوامًا على النعمة هي الشعوب الأكثر شكرًا، لأنها الشعوب الأكثر عملاً، أما تلك التي لا تعمل وتكتفي بالحمد اللفظي، فهي الشعوب الأكثر عالةً على الشعوب الأخرى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الذي يبني مصنعًا هو الأكثر شكرًا لله من الذي يبني مسجدًا، أما الذي يبني مسجدًا فهو الأكثر ذِكرًا، قال تعالى: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) سورة النور / الآية 36.

إن مبدأ الشكر هذا هو الذي جعل نوحًا صاحب **مَقام** في قومه لا صاحب **مُقام**، فالمُقام يُرَدُّ إلى الفعل: **أقام**، أما المَقام فيرد إلى: **قام**، والفرق بين المُقام والمَقام، أن الأول يأتيه الإنسان جاهزًا، أما الثاني فالإنسان نفسُه هو الذي يُوجدُه، الجنة والنار مُقامان (حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) سورة الفرقان / الآية 76 (سَاءتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) سورة الفرقان / الآية 66، **ويثرب** بالنسبة للمهاجرين من الصحابة ــ الذين جاؤوها فقراء معدمين بلا عمل ــ كانت مُقامًا (وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا) سورة الأحزاب / الآية 13، أما إبراهيم فله في الكعبة مَقام لأنه بناها (وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) سورة البقرة / الآية 125، وقوم فرعون كان لهم مَقام في أرضهم لأنهم كانوا مزارعين (فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58)) سورة الشعراء.

لعل أهم إنجاز حدث في عهد نوح هو أن البشرية أصبحت على معرفة بكيفية اجتياز العوائق المائية، وهذه المعرفة تطورت مع الزمن لتصبح إحدى الوسيلتين الوحيدتين اللتين ساعدتا على انتشار الإنسان في الأرض، وسنرى بعد قليل، عند دراستنا لـ **عاد** قوم **هود**، كيف احتلت **الأنعام** المرتبة الثانية في هذه الوسائل، لقد بقيت الفلك والأنعام الوسيلتين الوحيدتين لتنقُّل الإنسان حتى أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر.

لقد كانت السفينة آيةً ومَعْلَمًا بارزًا في تاريخ المعرفة الإنسانية ؛ فالذين آمنوا بمبدأ الشكر نجوا، أما الكفار الذين ظلوا متشبثين بما هو ماضَوِيّ، فقد كان سلوكهم أشبه ما يكون بسلوك الحيوانات التي تلجأ إلى الجبال والأشجار إبَّان الكارثة الطبيعية، فـ (سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (79)) سورة الصافات، لقد كان نوح قدوةً معرفية لمن جاء بعده من الناس، وكانت ذريته هي الباقية (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (77)) سورة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصافات، أما الكُفَّار الفُجَّار فلم يبق على تلك الأرض منهم ديَّار (وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (27)) سورة نوح، فالكفر والفجور أدوات الهلاك المادية. الكفر عكس الشكر، أما الفجور فهو عكس الإسلام.

النتائج العامة للدراسة :

تبدو الجدلية واضحة بين **السلطة** من جهة و**المعرفة** من جهة أخرى؛ ففي الوقت الذي يكتسب الإنسان السلطة عن طريق توصُّله لمعرفة ما، نرى تلك السلطة المكتسَبة تفتح أمامه آفاقًا جديدة للمعرفة، وتلك الآفاق لم تكن لتنفتح لولا وجوده ضمن إطار معين من درجة امتلاك السلطة.

كانت المعرفة تعتمد على الرؤية ومن ثم المحاكاة كشكل من أشكال الخضوع لقانون الظاهرة الطبيعية، ولكننا رأينا في عهد **إبراهيم** كيف توصل الإنسان إلى قانون جديد يعتمد **النفي** بدلاً من **الإثبات**؛ فللوصول إلى الحقيقة، لا بد من النفي الجزئي للحقيقة الموجودة الآن... وعبر هذا التدرج الصاعد باتجاه المطلق، تتساقط الكثير من الأوهام لتحل محلها حقائق جديدة، ستُشكِّل مجابهتُها الشغلَ الشاغل لأصحاب السلطة، ذلك أن وجود بعض الفئات يرتكز أساسًا على ثبات الوضع، لذا لا بد من مقاومة أي حركة تغيير.

تصبح الموجودات ـــ بفضل المعرفة ـــ قابلة للاستفادة منها بعد أن كانت صعوبة فهمها تجعل منها قِوىً فوقيـــةً، يشعر الإنسان أمامها بواجب الخضوع لها؛ فـــ **الطيور** المحلِّقة في السماء أصبح بالإمكان ترويضُها، و**النار** يمكن تصريف طاقتها بما هو مفيد، و**السفينة** لم تعد فقط طوق النجاة من الماء القاهر المفاجئ، بل هي أداة قاهرة لقانون الماء تسير فوقه بإرادة الإنسان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تشكل المعرفة المصدر الأهم لسلطة **رجال الدين** إذا استطاعوا حصرَها في نطاقهم، وهذا ما أنشأ نظام **المعبد** الذي يعتمد **رِزقُ** القائمين عليه على ما يجلبه **كَسْبُ** الآخرين نتيجة اعتقادهم بتفوُّق هؤلاء عليهم، وسيبقى الأمر في إطاره المقبول حتى تصبح تلك الفئة مُعيقة للتقدم المعرفي، عندها لا بد من دعوة جديدة (وهذا ما حدث في دعوة **المسيح**) لدفع المعرفة في الاتجاه الصحيح المتحرر من دائرة السلطة الدينية.

هناك جدل أزلي بين الإنسان والطبيعة، وتلعب المعرفة دورا محوريا في تنظيم هذا الجدل، فمن يمتلكها يصبح الأقدر على التعامل مع المظاهر الطبيعية، ويمكنه، بالتالي، نزع السلطة ممن يدعون أنهم عارفون بالأسرار الخفية للطبيعة.

يتجاذب المعرفة طرفان؛ **رموز السلطة** و **دُعاة التغيير**، فإذا تغلب أهلُ السلطة وقعت المعرفة في إطار من الجمود، وتحولت هي ذاتُها إلى سلطة، تُضفي **الشرعية** على من يمتلكها، وإذا جذبها دعاةُ التغيير اتسعت دائرتُها وتطورت أشكالُها وأدواتُها.

المصادر والمراجع :

- **المصحف الشريف**
- **ابن جني، أبو الفتح (392هـ، 1002م). الخصائص، بيروت، دار الجليل.**
- **ابن خلدون، عبد الرحمن (808 هـ). المقدمة، بيروت، دار الجليل.**
- **ابن سينا، الحسين بن عبد الله (428هـ). القانون في الطب، بيروت، مؤسسة المعارف.**
- **ابن كثير، عماد الدين (774هـ). تفسير القرآن العظيم، دمشق، دار الفيحاء.**
- **أدونيس، (1990). الإسلام والحداثة، لندن، دار الساقي.**
- **بدوي، خليل، (2000). الاستنساخ، عمان، المكتبة الوطنية.**
- **بدوي، فاطمة، (1986). علم اجتماع المعرفة ، الدار البيضاء، منشورات جروس برس.**
- **بوكاي، موريس، (1977). دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، القاهرة، دار المعارف.**
- **جلجامش، (2325– 2269 ق.م). ملحمة جلجامش، ترجمة: سامي الأحمد، بيروت، دار الجليل.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الحملاوي، أحمد، (1962). شذا العرف في فن الصرف، القاهرة، المطبعة الأميرية.
- خمش، مجد الدين، (2004). الدولة والتنمية في إطار العولمة، عمان، دار مجدلاوي.
- الدقس، محمد، (1987). التغير الاجتماعي، عمان، دار مجدلاوي.
- روسو، جان جاك، (1985). محاولة في أصل اللغات، ترجمة: محمد محجوب، تونس، الدار التونسية للنشر.
- ريكور، بول، (1999). الوجود والزمان والسرد، ترجمة: سعيد الغانمي، بيروت، المركز الثقافي العربي.
- زايتلن، إرفنج، (1989). النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ترجمة: محمود عودة وإبراهيم عثمان، الكويت، ذات السلاسل.
- سبينوزا، بندكت، (1994). في اللاهوت والسياسة، ط 3، ترجمة: حسن حنفي، بيروت، دار الطليعة.
- شتراوس، كلود ليفي، (1983). الأسطورة والمعنى، ترجمة: حسن قبيسي، بيروت، دار التنوير.
- شتراوس، كلود ليفي، (1984). مقالات في الإناسة، ترجمة: حسن قبيسي، بيروت، دار التنوير.
- عبد الباقي، محمد فؤاد، (1994). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بيروت، دار المعرفة.
- غيرتز، كليفورد، (1993). الإسلام من وجهة نظر علم الإناسة، ترجمة: أحمد باقادر، بيروت، دار المنتخب العربي.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (175هـ). كتاب العين، بغداد، دار الهلال.
- فرويد، سيجموند، (1983). الطوطم والتابو، ترجمة: بوعلي ياسين، اللاذقية، دار الحوار.
- فريزر، جيمس، (1982). الطوطمية والتزاوج الخارجي، ترجمة بوعلي ياسين، بيروت، دار الحداثة.
- فوكو، ميشيل، (1984). نظام الخطاب، ترجمة: محمد سبيلا، بيروت، دار التنوير.
- الكتاب المقدس.
- المتنبي، أبو الطيب، (354هـ). ديوان المتنبي، بيروت، المكتبة الثقافية.
- مجمع اللغة العربية، (1990). المعجم الوجيز، القاهرة، دار المعارف.
- مجمع اللغة العربية، (1989). المعجم الوسيط، استانبول، دار الدعوة.
- هيدجر، مارتن، (1995). التقنية ــ الحقيقة ــ الوجود، ترجمة: محمد سبيلا، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- Katzung, Bertram.G. (2001).Basic and Clinical Pharmacology, (8th ed.). N.Y: Medical Publishing Division.
- Lang, A. (1905).Secret of the Totem. N.Y: The Macmillan Company.
- McKee, I. (1982).Hereditary diseases.London: Royal Society of Medicin.Macmillan Press.
- Parsons.Talcot. (1951).The Social System. New York: The Free press.
- Spencer, Baldwen. (1891).The Naive Tribes of Central Australia. N.Y: The Macmillan Company.
- Stark, Rodney. (2003). Sociology, (9th ed).USA.thomson Press.
- Willson, J.Robert. (1983).Obstetric and Gynecology, (7th ed). London: Mosby Company.

***

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com